i j k

m

الحمد لله، أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً، أحمده وأشكره وأتوب إليه وأستغفره، وكفى به ولياً حميداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه وتمجيدًا.

وأشهد أن نبينا محمدًا عبد الله ورسوله، نبي شرح الله صدره، ورفع ذكره، ووضع وزره، وأعلى في العالمين قدره، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره، بعثه الله بالهدى ودين الحق فأشاد صرح العقيدة، وأرسى قواعد الملة، وأكمل الله به الدين وأتم به النعمة، فالخير ما جاء به، والدين ما شرعه، والحق ما التزمه، فصلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، خير هذه الأمة وأطوعها له، وأحبها لرسوله عليه الصلاة والسلام، وأكثرها اتباعاً له، فرضي الله عنهم وأرضاهم، ومن لزم هديهم ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن أقرب كلمة مستخدمة في النصوص الإسلامية الأساسية «القرآن والسنة الشريفة» لكلمة فلسفة هي كلمة: «حكمة»؛ لهذا نجد الكثير من الفلاسفة المسلمين يستخدمون كلمة: «حكمة» كمرادف لكلمة «فلسفة» التي دخلت إلى الفكر العربي الإسلامي كتعريب لكلمة Philosphy اليونانية .

وإن كانت كلمة «فلسفة» ضمن سياق الحضارة الإسلامية بقيت ملتصقة بمفاهيم الفلسفة اليونانية الغربية، فعندما نحاول أن نتحدث عن فلسفة إسلامية بالمفهوم العام كتصور كوني وبحث في طبيعة الحياة، لابد أن نشمل معها المدارس الأخرى تحت المسميات الأخرى، وأهمها: علم الكلام، وأصول الفقه، وعلوم اللغة.

وأهم ما يواجه الباحث أن كلا من هذه المدارس قد قام بتعريف «الحكمة» أو «الفلسفة» وفق رؤيته الخاصة واهتماماته الخاصة. وفي مراحل لاحقة دخل المتصوفة في نزاعات مع علماء الكلام والفلاسفة لتحديد معنى كلمة الحكمة التي تذكر في الأحاديث

obeikandl.com

النبوية، وكثيرا ما استخدم العديد من أعلام الصوفية لقب «حكيم» لكبار شخصياتهم مثل الحكيم الترمذي.

بأي حال فإن لقب «فيلسوف» ظل حصرًا على من عَمِلَ في الفلسفة ضمن سياق الفلسفة اليونانية، ومن هنا كان أهم جدل حول الفلسفة هو كتابي «تهافت الفلاسفة» للإمام الغزالي، و«تهافت التهافت» لابن رشد.

وإذا اعتبرنا تعريف الفلسفة على أنها محاولة بناء تصور ورؤية شمولية للكون والحياة ، فإن بدايات هذه الأعمال في الحضارة الإسلامية بدأت كتيار فكري في البدايات المبكرة للدولة الإسلامية بدأ بعلم الكلام، ووصل الذروة في القرن التاسع عندما أصبح المسلمون على إطلاع بالفلسفة اليونانية القديمة والذي أدى إلى نشوء رعيل من الفلاسفة المسلمين الذين كانوا يختلفون عن علماء الكلام.

علم الكلام كان يستند أساسًا على النصوص الشرعية من قرآن وسنة وأساليب منطقية لغوية لبناء أسلوب احتجاجي يواجه به من يحاول الطعن في حقائق الإسلام، في حين أن الفلاسفة المشائين، وهم الفلاسفة المسلمين الذين تبنوا الفلسفة اليونانية، فقد كان مرجعهم الأول هو التصور الأرسطي أو التصور الأفلوطيني الذي كانوا يعتبرونه متوافقًا مع نصوص وروح الإسلام.

ومن خلال محاولتهم لاستخدام المنطق لتحليل ما اعتبروه قوانين كونية ثابتة ناشئة من إرادة الله، قاموا بداية بأول محاولات توفيقية لردم بعض الهوة التي كانت موجودة أساسًا في التصور لطبيعة الخالق بين المفهوم الإسلامي لله والمفهوم الفلسفي اليوناني للمبدأ الأول أو العقل الأول.

ثم تطورت الفلسفة الإسلامية من مرحلة دراسة المسائل التي لا تثبت إلا بالنقل والتعبّد إلى مرحلة دراسة المسائل التي ينحصر إثباتها بالأدلة العقلية ولكن النقطة المشتركة عبر هذا الامتداد التاريخي كان معرفة الله وإثبات الخالق.

وقد بلغ هذا التيار الفلسفي منعطفًا بالغ الأهمية على يد ابن رشد من خلال تمسكه بمبدأ الفكر الحر وتحكيم العقل على أساس المشاهدة والتجربة.

obeikandl.com

وأول من برز من فلاسفة العرب كان الكندي الذي يُلقب بـــ«المعلم الأول» عند العرب، من ثم كان الفارابي الذي تبنى الكثير من الفكر الأرسطي من العقل الفعال وقِدَم العالم ومفهوم اللغة الطبيعية.

وأسس الفارابي مدرسة فكرية كان من أهم أعلامها: الأميري، والسجستاني، والتوحيدي.

وكان الإمام الغزالي أول من أقام صلحًا بين المنطق والعلوم الإسلامية حين بيّن أن أساسيات المنطق اليوناني يمكن أن تكون محايدة ومفصولة عن التصورات الميتافيزيقية اليونانية.

وتوسع الغزالي في شرح المنطق واستخدمه في علم أصول الفقه، لكنه بالمقابل شن هجومًا عنيفًا على الرؤى الفلسفية للفلاسفة المسلمين المشائين في كتاب «تهافت الفلاسفة»، ورد عليه لاحقًا ابن رشد في كتاب «تهافت التهافت».

وقد وصلت الفلسفة الإسلامية إلى إحدى قممها على يد الشيخ الرئيس ابن سينا، وهو من أهم العلماء العرب الذين ساهموا في التقدم العلمي، وقد أصبح واحدًا من أكثر الفلاسفة تأثيرًا، ليس في بلاد الإسلام فحسب، بل على المستوى العالمي كله.

وكتاب «**عيون الحكمة**» لابن سينا من أهم الكتب الموجزة التي تشتمل على الحكمة النظرية بأقسامها الثلاثة التقليدية في الفلسفة الإسلامية، وهي: المنطق، والطبيعيات، والإلهيات.

والكتاب لم يتضمن إلا المعاني العامة في هذه الأقسام دون الدخول في التفصيلات؛ لذلك كان محتاجًا لشرح تفصيلي، يميط اللثام عن هذا البحر الزاخر من علوم الحكمة، ولذلك تصدى لهذة المهمة الشاقة الإمام فخر الدين الرازي، فقد «**شرح كتاب عيون الحكمة**» شرحًا بديعًا وافيًا، قدم فيه التحليل الوافي والنقد الراقي، حتى أن نص كتاب «عيون الحكمة» لا تصلح قراءته بغير هذا الشرح الرائع للإمام الرازي.

وقد قال الإمام الرازي في مقدمة الشرح: (إن كتاب «**عيون الحكمة**» كتاب أخباره سُطرت في صفائح المفاخر، وكُتبت على جبهة الفلك الدائر، وهو في الحقيقة كالصدفة المحتوية على غُرر مباحث القدماء، المحيط بجوامع كلمات الحكماء.

فسألني بعض الأعزة من الأصحاب، والخُلص من الأحباب، وهو سيدي: «**الحكيم محمد بن رضوان بن محمد بن ملك شروان**» فسر مشكلاته، وإيضاح معضلاته، والتفحص عن كيفية بيناته، والتصفح لمآدبه وغاياته).

وقد واجهت الإمام الرازي عدة صعوبات في هذا الشرح أوضحها في المقدمة حتى أنه وصف الكتاب بالبحر المتلاطم، ولكن من أهم هذه المشكلات إقحام بعض الجمل في متن «عيون الحكمة» ونسبتها لابن سينا، وقد قام الإمام الرازي باستخلاص هذه الجمل وإظهارها ونقدها، وقد وضح سبب إقحام هذه الجمل في المقدمة وفي أثناء شرح الكتاب عدة مرات، ومنها هذا المثال:

(**فاعلم: أني أظن أن هذا الكلام ليس من كلام «الشيخ»** وذلك لأنه بيّن في أكثر كتبه: أنه لا يلزم من كون الفصل مقومًا لطبيعة الجنس المخصوصة كونه داخلا في ماهية ذلك الجنس، بل يكون مقومًا لها بمعنى أنه يكون سببًا لوجودها.

وعلى هذا التقدير فالكلام المذكور هنا باطل، بل الغالب على الظن أنه قال: فإن صارت واجبة الوجود بالفصول، فيكون وجوب واجب الوجود لذاته متعلقًا بغيره، فيكون الواجب بذاته واجبًا بغيره. وذلك محال. وهذا الكلام هو الذي ذكره في إبطال هذا القسم في سائر كتبه .....).

ثم قال: (وأقول: أنه يشبه أن لا يكون هذا الكلام كلام «الشيخ» فإنه شديد الخبط وعظيم الاضطراب.

ولعل السبب في وقوع أمثال هذه الكلمات في الكتب: أن كثيرًا من الناس يطالعون هذه الكتب ولا يفهمون الكلام فهمًا صحيحًا مطابقًا، بل يتخيلون أشياء فاسدة، ويظنون أنها هي الوجوه الصحيحة، فيثبتون تلك الكلمات المشوشة على حواشي الكتاب. ثم إن الناسخ الجاهل يظن بها أنها من أصل الكتاب، فيدخلها في الكتاب، فلهذا السبب تتشوش هذه الكتب. فإني قد رأيت في تصانيفي كثيرًا من الناس كتبوا على حواشيها زوائد فاسدة، ثم إن قومًا ظنوا أنها من أصل الكتاب فأدخلوها في المتن، ثم ربما جاء بعضهم بتلك النتيجة، فأراها مملوءة من الحشو والزوائد الفاسدة. ومثل هذا لا يبعد أيضًا في كتب «الشيخ»).

وقد وفقنا الله في العثور على هذا الشرح الرائع، فحاولنا جاهدين إخراجه في أبهى صورة، وندعو من الله التوفيق.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين وصلَّى الله وسلم على سيّد البلغاء من الناس مُحمّدِ بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

obeikandl.com

الشيخ الرئيس ابن سينا

اسمه ونسبه:

هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا، عالم مسلم اشتهر بالطب والفلسفة واشتغل بهما.

عُرِفَ باسم الشيخ الرئيس، وسماه الغربيون بأمير الأطباء، وأبو الطب الحديث.

وقد ألّف العديد من الكتب في مواضيع مختلفة، العديد منها يركّز على الفلسفة والطب. ويُعد ابن سينا من أول من كتب عن الطبّ في العالم، ولقد اتبع نهج أو أسلوب أبقراط وجالينوس. وأشهر أعماله كتاب الشفاء وكتاب القانون في الطب.

ويقال: كان الطب معدومًا فأوجده أبقراط، وكان ميتًا فأحياه جالينوس، وكان متفرقًا فجمعه الرازي، وكان ناقصًا فأكمله ابن سينا.

مولده ونشأته:

ولد في قرية (أفشنة) بالقرب من بخارى (في أوزبكستان حاليًا) من أب من مدينة بلخ (في أفغانستان حاليًا) وأم قروية سنة (٣٧٠هـ /٩٨٠م) وتوفي في مدينة همدان (في إيران حاليًا) سنة (٤٢٧هـ /١٠٣٧م).

ووالده من أتباع الباطنية، كما ذكر ابن سينا وقد كان يحضر اجتماعاتها السرية ويعقد بعضها في بيته، ويحرص على حضور ابن سينا وأخيه لتلك الاجتماعات، وإن كان ابن سينا غير مقتنع بها.

رحل إلي مدينة بخاري وهناك التحق ببلاط السلطان نوح بن منصور الساماني، الذي أسند إليه متابعة الأعمال المالية للسلطان.

في بخارى بدأ ابن سينا رحلة تلقي العلوم، حفظ القرآن وعمره لم يتجاوز العاشرة ثم تلقي علوم الفقه والأدب والفلسفة والطب.

حدث أن قدم إلى بلدة بخارى عالم متخصص بعلوم الفلسفة والمنطق اسمه "أبو عبد الله النائلي" وهو من فلاسفة الباطنية، فاستضافه والد ابن سينا، وطلب إليه أن يُلقِن ابن سينا شيئاً من علومه، فما كان من هذا العالم إلا أن تفرَغ لتلميذه، وأخذ عليه دروسًا من كتاب "المدخل إلى علم المنطق" المعروف باسم "إيساغوجي".

obeikandi.com

وما كان أشد إعجاب النائلي من تلميذه حين وجده يجيب عن الأسئلة المنطقية المحورية إجابات صائبة تكاد لا تخطر على بال معلمه. واستمر ابن سينا مع معلمه إلى أن غادر هذا المعلم بلدة بخارى.

بدأ نبوغ ابن سينا منذ صغره؛ إذ يحكي أنه قام وهو لم يتجاوز الثامنة عشر بعلاج السلطان نوح بن منصور الساماني، وكانت هذه هي الفرصة الذهبية التي سمحت لابن سينا إلتحاقه ببلاط السلطان، ووضعت مكتبته الخاصة تحت تصرف ابن سينا.

ترحاله:

كان ابن سينا محبًا للترحال لطلب العلم، حتى إذا بلغ العشرين من عمره توفي والده، فرحل أبو علي الحسين بن سينا إلى جرجان، وأقام بها مدة، وألف كتابه "القانون في الطب"، ولكنه ما لبث أن رحل إلى "همدان" فحقق شهرة كبيرة، وصار وزيرًا للأمير "شمس الدين البويهي"، إلا أنه لم يطل به المقام بها. ففي عام ١٠٢٢ توفي شمس الدولة ليجد ابن سينا نفسه وسط محيط غير مريح. وتسبب موت راعيه في مرحلة من المصاعب بلغت ذروتها بسجنه. ولحسن حظه استطاع ابن سينا أن يهرب إلى أصفهان، ٢٥٠ ميلا جنوب طهران، مصحوبًا برهط صغير من أعوانه وقرر أن يستقر فيها. وفعلا قضى في أصفهان ١٤ عامًا في طمأنينة نسبية. وفيها أنهى كتابه "القانون في الطب" كما أنهى أيضًا كتابه الشهير الآخر "كتاب الشفاء".

إذ رحل إلى "أصفهان" وحظي برعاية أميرها "علاء الدولة"، وظل بها حتى خرج من الأمير علاء الدولة في إحدى حملاته إلى همدان؛ حيث وافته المنية بها في (رمضان ٤٢٨هـ= يونيو ١٠٣٧م).

في محراب العلم والإيمان:

كان ابن سينا عالمًا وفيلسوفًا وطبيبًا وشاعرًا، ولُقّب بالشيخ الرئيس والمعلم الثالث بعد أرسطو والفارابي، كما عُرف بأمير الأطباء وأرسطو الإسلام، وكان سابقًا لعصره في مجالات فكرية عديدة، ولم يصرفه اشتغاله بالعلم عن المشاركة في الحياة العامة في عصره؛ فقد تعايش مع مشكلات مجتمعه، وتفاعل مع ما يموج به من اتجاهات فكرية، وشارك في صنع نهضته العلمية والحضارية.

وكان لذلك كله أبلغ الأثر في إضفاء المسحة العقلية على آرائه ونظرياته، وقد انعكس ذلك أيضا على أفكاره وآثاره ومؤلفاته، فلم يكن ابن سينا يتقيد بكل ما وصل إليه من

سبقوه من نظريات، وإنما كان ينظر إليها ناقدًا ومحللا، ويعرضها على مرآة عقله وتفكيره، فما وافق تفكيره وقبله عقله أخذه وزاد عليه ما توصل إليه واكتسبه بأبحاثه وخبراته ومشاهداته، وكان يقول: إن الفلاسفة يخطئون ويصيبون كسائر الناس، وهم ليسوا معصومين عن الخطأ والزلل.

ولذلك فقد حارب التنجيم وبعض الأفكار السائدة في عصره في بعض نواحي الكيمياء، وخالف معاصريه ومن تقدموا عليه، الذين قالوا بإمكان تحويل بعض الفلزات الخسيسة إلى الذهب والفضة، فنفى إمكان حدوث ذلك التحويل في جوهر الفلزات، وإنما هو تغيير ظاهري في شكل الفلز وصورته، وفسّر ذلك بأن لكل عنصر منها تركيبه الخاص الذي لا يمكن تغييره بطرق التحويل المعروفة.

وقد أثارت شهرة ابن سينا ومكانته العلمية حسد بعض معاصريه وغيرهم عليه، ووجدوا في نزعته العقلية وآرائه الجديدة في الطب والعلوم والفلسفة مدخلا للطعن عليه واتهامه بالإلحاد والزندقة، ولكنه كان يرد عليهم بقوله: "إيماني بالله لا يتزعزع؛ فلو كنت كافرًا فليس ثمة مسلم حقيقي واحد على ظهر الأرض".

ريادة فلكية:

كان لابن سينا ريادات في العديد من العلوم والفنون؛ ففي مجال علم الفلك استطاع ابن سينا أن يرصد مرور كوكب الزهرة عبر دائرة قرص الشمس بالعين المجردة في يوم (١٠ جمادى الآخرة ٤٢٣ هـ = ٢٤ مايو ١٠٣٢م)، وهو ما أقره الفلكي الإنجليزي "جيرميا روكس" في القرن السابع عشر.

فقد قام بدراسات فلكية حينما كان في أصفهان ولاحقاً في همذان. وأثمرت هذه الدراسات عددًا من الاستدلالات التي ثبتت صحتها بعد قرون. وعلى سبيل المثال استطاع رصد كوكب الزهرة كبقعة على سطح الشمس واستنتج محقًا أن الزهرة لابد وأن يكون أقرب للأرض مما هو للشمس. كما ابتكر أيضاً جهازاً لرصد إحداثيات النجوم.

واشتغل ابن سينا بالرصد، وتعمق في علم الهيئة، ووضع في خلل الرصد آلات لم يُسبق إليها، وله في ذلك عدد من المؤلفات القيمة، منها:

١- كتاب الأرصاد الكلية.

٢- رسالة الآلة الرصدية.

٣- كتاب الأجرام السماوية.

٤ - كتاب في كيفية الرصد ومطابقته للعلم الطبيعي.

٥ - مقالة في هيئة الأرض من السماء وكونها في الوسط.

٦ - كتاب إبطال أحكام النجوم.

عالم جيولوجيا:

وله أيضا قيمة في علم طبقات الأرض (الجيولوجيا) خاصة في المعادن وتكوين الحجارة والجبال، فيرى أنها تكونت من طين لزج خصب على طول الزمان، وتحجر في مدد لا تضبط، فيشبه أن هذه المعمورة كانت في سالف الأيام مغمورة في البحار، وكثيرًا ما يوجد في الأحجار إذا كسرت أجزاء من الحيوانات المائية كالأصداف وغيرها.

كما ذكر الزلازل وفسرها بأنها حركة تعرض لجزء من أجزاء الأرض؛ بسبب ما تحته، ولا محالة أن ذلك السبب يعرض له أن يتحرك ثم يحرك ما فوقه، والجسم الذي يمكن أن يتحرك تحت الأرض، وهو إما جسم بخاري دخاني قوى الاندفاع أو جسم مائي سيّال أو جسم هوائي أو جسم ناري.

ويتحدث عن السحب وكيفية تكونها؛ فيذكر أنها تولد من الأبخرة الرطبة إذا تصعّدت الحرارة فوافقت الطبقة الباردة من الهواء، فجوهر السحاب بخاري متكاثف طاف الهواء، فالبخار مادة السحب والمطر والثلج والطل والجليد والصقيع والبرد وعليه تتراءى الهالة وقوس قزح.

عالم نبات:

وكان لابن سينا اهتمام خاص بعلم النبات، وله دراسات علمية جادة في مجال النباتات الطبية، وقد أجرى المقارنات العلمية الرصينة بين جذور النباتات وأوراقها وأزهارها، ووصفها وصفًا علميًا دقيقًا ودرس أجناسها، وتعرض للتربة وأنواعها والعناصر المؤثرة في نمو النبات، كما تحدث عن ظاهرة المساهمة في الأشجار والنخيل، وذلك بأن تحمل الشجرة حملا ثقيلا في سنة وحملا خفيفا في سنة أخرى أو تحمل سنة ولا تحمل أخرى.

وأشار إلى اختلاف الطعام والرائحة في النبات، وقد سبق كارل متز الذي قال بأهمية التشخيص بوساطة العصارة، وذلك في سنة ١٣٥٣ هـ = ١٩٣٤م.

ابن سينا والأقرباذين:

وكان لابن سينا معرفة جيدة بالأدوية وفعاليتها، وقد صنف الأدوية في ست مجموعات، وكانت الأدوية المفردة والمركبة (الأقرباذين) التي ذكرها في مصنفاته وبخاصة كتاب القانون لها أثر عظيم وقيمة علمية كبيرة بين علماء الطب والصيدلة، وبلغ عدد الأدوية التي وصفها في كتابه نحو ٧٦٠ عقّارًا رتبها ألفبائيًا.

ومن المدهش حقا أنه كان يمارس ما يعرف بالطب التجريبي ويطبقه على مرضاه، فقد كان يجرب أي دواء جديد يتعرف عليه على الحيوان أولا، ثم يعطيه للإنسان بعد أن تثبت له صلاحيته ودقته على الشفاء.

كما تحدث عن تلوث البيئة وأثره على صحة الإنسان فقال: "فما دام الهواء ملائمًا ونقيًا وليس به أخلاط من المواد الأخرى بما يتعارض مع مزاج التنفس، فإن الصحة تأتي". وذكر أثر ملوثات البيئة في ظهور أمراض حساسية الجهاز التنفسي.

الطبيب الإنسان:

بالرغم من الشهرة العريضة التي حققها ابن سينا كطبيب والمكانة العلمية العظيمة التي وصل إليها حتى استحق أن يلقب عن جدارة بأمير الأطباء، فإنه لم يسعَ يوما إلى جمع المال أو طلب الشهرة؛ فقد كان يعالج مرضاه بالمجان، بل إنه كثيرًا ما كان يقدم لهم الدواء الذي يعده بنفسه.

كان ابن سينا يستشعر نبل رسالته في تخفيف الألم عن مرضاه؛ فصرف جهده وهمته إلى خدمة الإنسانية ومحاربة الجهل والمرض.

واستطاع ابن سينا أن يقدم للإنسانية أعظم الخدمات بما توصل إليه من اكتشافات، وما يسره الله له من فتوحات طبيبة جليلة؛ فكان أول من كشف عن العديد من الأمراض التي ما زالت منتشرة حتى الآن، فهو أول من كشف عن طفيل "الإنكلستوما" وسماها الدودة المستديرة، وهو بذلك قد سبق الإيطالي "دوبيني" بنحو ٩٠٠ سنة، وهو أول من وصف الالتهاب السحائي، وأول من فرّق بين الشلل الناجم عن سبب داخلي في الدماغ والشلل الناتج عن سبب خارجي، ووصف السكتة الدماغية الناتجة عن كثرة الدم، مخالفًا بذلك ما استقر عليه أساطين الطب اليوناني القديم.

كما كشف لأول مرة عن طرق العدوى لبعض الأمراض المعدية كالجدري والحصبة، وذكر أنها تنتقل عن طريق بعض الكائنات الحية الدقيقة في الماء والجو، وقال: إن الماء

يحتوي على حيوانات صغيرة جدًا لا تُرى بالعين المجردة، وهي التي تُسبب بعض الأمراض، وهو ما أكده "فان ليوتهوك" في القرن الثامن عشر والعلماء المتأخرون من بعده، بعد اختراع المجهر.

وكان ابن سينا سابقًا لعصره في كثير من ملاحظاته الطبية الدقيقة، فقد درس الاضطرابات العصبية والعوامل النفسية والعقلية كالخوف والحزن والقلق والفرح وغيرها، وأشار إلى أن لها تأثيرا كبيرًا في أعضاء الجسم ووظائفها، كما استطاع معرفة بعض الحقائق النفسية والمرضية عن طريق التحليل النفسي، وكان يلجأ في بعض الأحيان إلى الأساليب النفسية في معالجة مرضاه.

ابن سينا وعلم الجراحة:

وقد اتبع ابن سينا في فحص مرضاه وتشخيص المرض وتحديد العلاج الطريقة الحديثة المتبعة الآن، وذلك عن طريق جس النبض والقرع بإصبعه فوق جسم المريض، وهي الطريقة المتبعة حاليًا في تشخيص الأمراض الباطنية، والتي نسبت إلى "ليوبولد أينبرجر" في القرن الثامن عشر، وكذلك من خلال الاستدلال بالبول والبراز.

ويُظهر ابن سينا براعة كبيرة ومقدرة فائقة في علم الجراحة، فقد ذكر عدة طرق لإيقاف النزيف، سواء بالربط أو إدخال الفتائل أو بالكي بالنار أو بدواء كاو، أو بضغط اللحم فوق العرق.

وتحدث عن كيفية التعامل مع السهام واستخراجها من الجروح، ويُحذر المعالجين من إصابة الشرايين أو الأعصاب عند إخراج السهام من الجروح، وينبه إلى ضرورة أن يكون المعالج على معرفة تامة بالتشريح.

كما يعتبر ابن سينا أول من اكتشف ووصف عضلات العين الداخلية، وهو أول من قال بأن مركز البصر ليس في الجسم البلوري كما كان يعتقد من قبل، وإنما هو في العصب البصري.

وكان ابن سينا جراحًا بارعًا، فقد قام بعمليات جراحية ودقيقة للغاية مثل استئصال الأورام السرطانية في مراحلها الأولى وشق الحنجرة والقصبة الهوائية، واستئصال الخراج من الغشاء البلوري بالرئة، وعالج البواسير بطريقة الربط، ووصف بدقة حالات النواسير البولية كما توصل إلى طريقة مبتكرة لعلاج الناسور الشرجي لا تزال تستخدم حتى الآن، وتعرض

لحصاة الكلى وشرح كيفية استخراجها والمحاذير التي يجب مراعاتها، كما ذكر حالات استعمال القسطرة، وكذلك الحالات التي يحذر استعمالها فيها.

الأمراض التناسلية:

كما كان له باع كبير في مجال الأمراض التناسلية، فوصف بدقة بعض أمراض النساء، مثل: الانسداد المهبلي والأسقاط، والأورام الليفية.

وتحدث عن الأمراض التي يمكن أن تصيب النفساء، مثل: النزيف، واحتباس الدم، وما قد يسببه من أورام وحميات حادة، وأشار إلى أن تعفن الرحم قد ينشأ من عسر الولادة أو موت الجنين، وهو ما لم يكن معروفًا من قبل، وتعرض أيضا للذكورة والأنوثة في الجنين وعزاها إلى الرجل دون المرأة، وهو الأمر الذي أكده مؤخرًا العلم الحديث.

كتاب عربي علّم العالم:

وقد حظي كتابه القانون في الطب شهرة واسعة في أوربا، حتى قال عنه السيد "وليم أوسلر": إنه كان الإنجيل الطبي لأطول فترة من الزمن.

وترجمه إلى اللاتينية "جيرارد من كريمونا"، وطبع نحو ١٥ مرة في أوربا ما بين عامي (٨٧٨هـ= ١٤٧٣م، و٩٠٦ هـ = ١٥٠٠م) ثم أعيد طبعه نحو عشرين مرة في القرن السادس عشر.

وظل هذا الكتاب المرجع الأساسي للطب في أوربا طوال القرنين الخامس والسادس عشر، حتى بلغت طبعاته في أوربا وحدها أكثر من ٤٠ طبعة.

واستمر يُدرّس في جامعات إيطاليا وفرنسا وبلجيكا حتى أواسط القرن السابع عشر، ظل خلالها هو المرجع العلمي الأول بها.

قانون ابن سينا للحركة والسكون:

أما في مجال الفيزياء فقد كان ابن سينا من أوائل العلماء المسلمين الذين مهدوا لعلم الديناميكا الحديثة بدراستهم في الحركة وموضع الميل القسري والميل المعاون، وإليه يرجع الفضل في وضع القانون الأول للحركة، والذي يقول بأن الجسم يبقى في حالة سكون أو حركة منتظمة في خط مستقيم ما لم تجبره قوى خارجية على تغيير هذه الحالة، فقد سبق ابن سينا إلى ملاحظة حركة الأجسام، واستنباط ذلك القانون الذي عبّر عنه بقوله: "إنك لتعلم أن الجسم إذا خُلي وطباعه و لم يعرض له من خارج تأثير غريب لم يكن له بد من موضع معين وشكل معين، فإذن له في طباعه مبدأ استيجاب ذلك".

وهو بذلك سبق إسحاق نيوتن بأكثر من ستة قرون وجاليليو بأكثر من ٥ قرون وليوناردو دافنشي بأكثر من ٤ قرون؛ مما يستحق معه أن ينسب إليه ذلك القانون الذي كان له فضل السبق إليه: "قانون ابن سينا للحركة والسكون".

كما ابتكر ابن سينا آلة تشبه الورنية Vernier، وهي آلة تستعمل لقياس الأطوال بدقة متناهية.

واستطاع بدقة ملاحظة أن يفرق بين سرعتي الضوء والصوت، وهو ما توصل إليه إسحاق نيوتن بعد أكثر من ٦٠٠ سنة، وكانت له نظرياته في (ميكانيكية الحركة)، التي توصل إليها "جان بيردان" في القرن الرابع عشر، و(سرعة الحركة) التي بنى عليها "ألبرت أينشتين" نظريته الشهيرة في النسبية.

ابن سينا والموسيقى:

ولابن سينا إسهاماته في الموسيقى، ويقال: إنه كاتب رباعيات شعرية فارسية وقصائد قصيرة، منها:

"من وسط الأرض نهضت للسماء السابعة
وتربعت على عرش زحل
حللت عقداً كثيرة في الطريق
إلا العقدة الكبرى: قَدَر البشر".

مؤلفاته:

وضع ابن سينا حوالي ٤٥٠ مؤلفًا، لم يصلنا منها سوى ٢٤٠ تقريبًا. ومن بين أعماله المتوفرة لنا اليوم هناك ١٥٠ في الفلسفة و٤٠ في الطب وهما الميدانان العلميان اللذان قدم فيهما أكبر إنجازاته. كما وضع أعمالا في علم النفس والجيولوجيا والرياضيات والفلك والمنطق.

وقد كتب كل مؤلفاته باللغة العربية باستثناء كتابين اثنين وضعهما بالفارسية وهي لغته الأم. أحد هذين الكتابين هو بعنوان "موسوعة العلوم الفلسفية" والثاني هو دراسة عن النبض أصبح ذائع الشهرة لاحقاً.

obeikandi.com

أولا: في الفلسفة:

١- الإشارات والتنبيهات: ذهب فيه مذهب أرسطو وقربه قليلا إلى الأديان، فهو مؤسس الاتجاه الفلسفي الذي تحدى العقيدة وفكرة النبوة والرسالة في الإسلام، وكان يقول بقدم العالم وإنكار المعاد، ونفي علم الله وقدرته وخلقه العالم وبعثه من في القبور.

وذهب ابن سينا مذهب الفلاسفة من أمثال الفارابي أبي نصر التركي الفيلسوف، وكان الفارابي يقول بالمعاد الروحاني لا الجثماني، ويخصص بالمعاد الأرواح العالمة لا الجاهلة، وله مذاهب في ذلك يخالف المسلمين والفلاسفة من سلفه الأقدمين، وأعاد تلك الفكرة ابن سينا ونصره، وقد رد عليه الغزالي في "تهافت الفلاسفة" في عشرين مجلسًا له كفّره في ثلاث منها وهي قوله بقدم العالم، وعدم المعاد الجثماني، وقوله: إنّ الله لا يعلم الجزئيات، وبدّعه في البواقي.

لا شك أن صحبته لفلاسفة الباطنية كأبي عبد الله النائلي - الذي علمه بصغره- قد أثرت في تفكير ابن سينا، وهيأته للدور الذي لعبه في تنشيط تيار الفلسفة واتخاذها موقف التحدي للعقيدة الإسلامية، ومثال على ذلك "نظرية المعرفة" والتي ساوى فيها الفلاسفة مع الأنبياء، وقد خص الفلاسفة بميزة أخرى وهي أن الفلاسفة استمروا في رسالتهم وارتقاء معارفهم في الوقت الذي ختمت النبوة بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وكان أتباعه يدعون بـ "الألى" وقالوا مقالته ومن أشهرهم النصير الطوسي، واسمه: محمد بن عبد الله، ويقال له: الخواجا نصير الدين، الذي انتصر لمذهب ابن سينا والذب عنه وشرح إشاراته وكان يسميها "قرآن الخاصة"، ويسمي كتاب الله تعالى "قرآن العامة"، ورد على الشهرستاني في مصارعته ابن سينا بكتاب سماه "مصارعة المصارع".

٢- كتاب الشفاء.

٣- كتاب النجاة.

٤- كتاب المبدأ والمعاد.

٥- أسرار الحكمة المشرقية.

٦- رسالة حي بن يقظان.

٧- كتاب عيون الحكمة.

٨- الإنصاف في الحكمة.

ثانيًا: في العلوم الآلية:

obeikandl.com

تشتمل على كتب المنطق، وما يلحق بها من كتب اللغة والشعر والعلوم والطب، ومن آثاره اللغوية.

ثالثًا: في العلوم النظرية:

تشتمل على كتب العلم الكلّي، والعلم الإلهي، والعلم الرياضي، والطب النفسي.

رابعًا: في العلوم العملية:

وتشتمل على كتب الأخلاق، وتدبير المترل، وتدبير المدينة، والتشريع.

خامسًا: في العلوم الأصلية:

فروع وتوابع، فالطب مثلا من توابع العلم الطبيعي، والموسيقى وعلم الهيئة من فروع العلم الرياضي.

كتب الطب:

١- كتاب القانون: أشهر كتب ابن سينا الطبية الذي ترجم وطبع عدّة مرات، والذي ظل يُدرس في جامعات أوروبا حتى أواخر القرن التاسع عشر. جمع فيه ما عرفه الطب القديم وما ابتكره هو من نظريات واكتشفه من أمراض، وقد جمع فيه أكثر من سبعمائة وستين عقارًا مع أسماء النباتات التي يستحضر منها العقار. بحث ابن سينا في أمراض شتى أهمها السكتة الدماغية، التهاب السحايا والشلل العضوي، والشلل الناجم عن إصابة مركز في الدماغ، وعدوى السل الرئوي، وانتقال الأمراض التناسلية، والشذوذ في تصرفات الإنسان والجهاز الهضمي. وميز مغص الكلى من مغص المثانة وكيفية استخراج الحصاة منهما كما ميز التهاب البلورة (غشاء الرئة) والتهاب السحايا الحاد من التهاب السحايا الثانوي.

ومن كتبه الطبية أيضاً.

٢- كتاب الأدوية القلبية.

٣- وكتاب دفع المضار الكلية عن الأبدان الإنسانية.

٤- وكتاب القولنج.

٥- ورسالة في سياسة البدن وفضائل الشراب.

٦- ورسالة في تشريح الأعضاء.

٧- ورسالة في الفصد.

٨- ورسالة في الأغذية والأدوية.

obeikandl.com

٩- ولابن سينا أراجيز طبية كثيرة منها: أرجوزة في التشريح، وأرجوزة المجربات في الطب والألفية الطبية المشهورة التي ترجمت وطبعت.

في الرياضيات:

١- رسالة الزاوية.

٢- مختصر إقليدس.

٣- مختصر الارتماطيقي.

٤- مختصر علم الهيئة.

٥- مختصر المجسطي.

٦- رسالة في بيان علّة قيام الأرض في وسط السماء، طبعت في مجموع (جامع البدائع)، في القاهرة سنة ١٩١٧.

في الطبيعيات وتوابعها:

١- رسالة في إبطال أحكام النجوم.

٢- رسالة في الأجرام العلوية وأسباب البرق والرعد.

٣- رسالة في الفضاء.

٤- رسالة في النبات والحيوان.

٥- قانون الحركة الأول، وفيه: (الجسم الساكن يبقى ساكنًا والجسم المتحرك يبقى متحركًا ما لم تؤثر عليه قوة خارجية) والذي نسبه لنفسه إسحاق نيوتن.

في الموسيقى:

١- مقالة جوامع علم الموسيقى.

٢- مقالة في الموسيقى. ومقالات أخرى.

ابن سينا في عيون الغرب:

حظي ابن سينا بتقدير واحترام العلماء والباحثين على مر العصور حتى قال عنه "جورج ساتون": "إن ابن سينا ظاهرة فكرية عظيمة ربما لا نجد من يساويه في ذكائه أو نشاطه الإنتاجي".. "إن فكر ابن سينا يمثل المثل الأعلى للفلسفة في القرون الوسطى".

ويقول دي بور: "كان تأثير ابن سينا في الفلسفة المسيحية في العصور الوسطى عظيم الشأن، واعتبر في المقام كأرسطو".

obeikandl.com

ويقول "أوبرفيل": "إن ابن سينا اشتهر في العصور الوسطى، وتردد اسمه على كل شفة ولسان، ولقد كانت قيمته قيمة مفكر ملأ عصره.. وكان من كبار عظماء الإنسانية على الإطلاق".

ويصفه "هولميارد" بقوله: "إن علماء أوربا يصفون "أبا علي" بأنه أرسطو طاليس العرب، ولا ريب في أنه عالم فاق غيره في علم الطب وعلم طبقات الأرض، وكان من عادته إذا استعصت عليه مسألة علمية أن يذهب إلى المسجد لأداء الصلاة، ثم يعود إلى المسألة بعد الصلاة بادئًا من جديد؛ فيوفق في حلها".

ولا تزال صورة ابن سينا تزين كبرى قاعات كلية الطب بجامعة "باريس" حتى الآن؛ تقديرًا لعلمه واعترافًا بفضله وسبْقه.

ويقول الدكتور خير الله في كتابه القيم الطب العربي: "ويصعب علينا في هذا العصر أن نضيف شيئًا جديدًا إلى وصف ابن سينا لأعراض حصى المثانة السريرية".

مصادر الترجمة:

١- سير أعلام النبلاء للذهبي ١١/ ١١٨، ١١٩.
٢- عيون التواريخ لابن شاكر الكتبي ١٣/ ١٥٩ .
٣- الوافي بالوفيات للصفدي ١١/ ٧٩ - ٨٧ .
٤- عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٢/ ٢ — ٢٠.
٥- تاريخ الحكماء للقفطي ٤١٣ — ٤٢٦.
٦- تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي ٥٢ — ٧٢.
٧- البداية والنهاية لابن كثير ١٢/ ٤٢، ٤٣.
٨- النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٥/ ٢٥، ٢٦.
٩- لسان الميزان لابن حجر ٢/ ٢٩١ — ٢٩٣.
١٠- تاريخ مختصر الدول لابن العبري ٣٢٥ — ٣٣٠.
١١- الكامل في التاريخ لابن الاثير ٩/ ١٥٧.

openkan.com

دور ابن سينا في علم الفلسفة

وصلت الفلسفة الإسلامية إلى إحدى قممها على يد ابن سينا (٩٨٠ - ١٠٣٧) الذي ولد في إحدى قرى "بخارى" وتأثر منذ صغره بفلسفة الفارابي والأفلاطونية المحدثة.

فيعتبر الفكر الفلسفي لأبي علي ابن سينا امتدادًا لفكر الفارابي، وقد أخذ عن الفارابي فلسفته الطبيعية وفلسفته الإلهية، أي: تصوره للموجودات وتصوره للوجود، وأخذ منه على الأخص نظرية الصدور، وطوّر نظرية النفس وهو أكثر ما عني به.

وقد أدرك ابن سينا أن الفلسفة بحاجة إلى التأقلم مع متغيرات الإمبراطورية الإسلامية الذي أصبح فيه الخليفة بعيدًا كل البعد عن صفات قائد المدينة الفاضلة التي دعا إليها أفلاطون واعتبرها الفارابي مطابقة لصفات سيد الدنيا ومن فيها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

كان ابن سينا مقتنعًا أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو أرفع شأنًا من الفيلسوف لكونه معتمدًا على الاتصال المباشر بالمعرفة الإلهية، ولكنه وفي نفس الوقت كان معاديًا لفكرة الإيمان الأعمى؛ حيث كان ابن سينا متأثرًا بفكر أرسطو باستعمال العقل المنطق والأدلة للوصول إلى ماهية الخالق، بل اعتبر ابن سينا استعمال هذه الوسائل واجبًا على كل مسلم لكي يحرر فكره من الخرافة والأساطير.

طرح ابن سينا فكرته في الإثبات العقلي على وجود الخالق التي يجب أن تبدأ حسب رأيه بفهم طريقة تفكير الإنسان أولا، وأعطى مثال الشجرة لتوضيح فكرته. فالشجرة وحسب مثال ابن سينا تتألف من جذر وجذع وأوراق ولحاء، وعندما يحاول الإنسان فهم موضوع معين فيجب عليه تقسيم الموضوع إلى عدة أقسام ثانوية، وتتوقف عملية التقسيم هذه لحد التوصل إلى جزء غير قابل للقسمة وسوف يساعد هذه الطريقة حسب رأي ابن سينا في الوصول إلى جوهر المسألة التي قد تم تعقيدها لأسباب خارجية.

كان ابن سينا موافقًا لفكر أرسطو بأن الحركة وإن كانت تبدو عملية لا متناهية فإن مصدرها الثبات، وإن هذه الكينونة الثابتة هي التي حولت الثبات إلى حركة، وأضاف ابن سينا بأن انعدام المحرك الأولي معناه: أن الكون كله عبارة عن فوضى، ولكن الكون ليس بفوضى، وعليه فإن خلقه من الأساس كانت منظمة، ورجع ابن سينا إلى فكرة تبسيط

الأشياء إلى أجزاءها الأولية البسيطة لغرض فهمها فقال: فكرة الله هي البساطة نفسها حيث أن الفكرة غير قابلة لتقسيم أو تفريع أكثر.

قدم ابن سينا طرحه الفكري عن الخلق والنشوء الذي كان مشابهًا لفكرة الأفلاطونية المحدثة عن الفضاءات العشرة أو السماوات العشرة المتسلسلة لنشوء الكون التي تفصل الإنسان عن الله، وركز على الطبقة الأخيرة أو الجسر الرابط بين الحياة الدنيا والسماء العلى، وقال: إن هذا الجسر عبارة عن الوحي من جبريل إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

وفي سنواته الأخيرة انكب ابن سينا على كتابة كتابه المشهور كتاب "الإشارات" حيث كان هناك في هذا الكتاب توجه واضح وصريح نحو الفلسفة المشرقية، وفيه ذكر مصطلح الإشراق، وكان لهذا الكتاب أعظم الأثر في نشوء المدرسة الفكرية الإشراقية على يد يحيى السهروردي.

تعريفه للنفس:

أهمية ابن سينا الفلسفية تكمن في نظريته في النفس وأفكاره في فلسفة النفس، ومقدمات ابن سينا في النفس هي مقدمات أرسطية.

تعريف ابن سينا للنفس: (النفس كمال أول لجسم طبيعي آلي ذي حياة بالقوة أي من جهة ما يتولد -وهذا مبدأ القوة المولدة- ويربو -وهذا مبدأ القوة المنمية- ويتغذى -وهذا مبدأ القوة الغاذية- وذلك كله ما يسميه بالنفس النباتية.

وهي كمال أول من جهة ما يدرك الجزئيات ويتحرك بالإرادة وهذا ما يسميه بالنفس الحيوانية.

وهي كمال أول من جهة ما يدرك الكليات ويعقل بالاختيار الفكري وهذا ما يسميه النفس الإنسانية).

شرح التعريف:

ونعني في التعريف السابق أن النفس عند ابن سينا ثلاثة: نباتية، حيوانية، إنسانية.

- (كمال أول) تعني: مبدأ أول. (ذي حياة بالقوة) يعني: لدينا جسم مستعد وطبيعي لتقبل الحياة. (مبادئ النفس النباتية): تنمو وتتوالد وتتغذى ولا يفعل النبات أكثر من ذلك. (مبادئ النفس الحيوانية): تدرك الجزئيات، مثلا: يدرك أفعى أمامه، إنسان أمامه. (يتحرك بالإرادة) أي: فيه إرادة توجهه، مثلا: الأسد بإرادته ممكن أن يقفز على إنسان

ويبتلعه. (مبادئ النفس الإنسانية): تدرك الكليات. (اختيار فكري) أي: الحرية الفكرية التي نتوجه لها للاختيار من بين بدائل مختلفة.

تصور ابن سينا لأصل النفس:

١ - من أين جاءت.

٢ - علاقة النفس بالبدن.

٣ - مصير النفس.

المسألة غامضة عند ابن سينا ولكن ربما قصيدته العينية هي التي تعبر أكثر من غيرها عن رأي ابن سينا في المسائل الثلاث. قصيدته مكونة من أربعة أقسام لدى قراءتها تتضح الإجابة على الثلاث أسئلة السابقة.

والتي يقول أول أبياتها:

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزز وتمنع

محجوبة عن كل مقلة عارف وهي التي سفرت ولم تتبرقع

يشير ابن سينا في قسمها الأول من أين جاءت النفس؟ ويقول: أنها جاءت من محل أرفع، أي: من فوق، وأتت رغمًا عنها وكارهة لذلك، ثم تتصل بالبدن وهي كارهه لكنها بعد ذلك تألف وجودها بالبدن، وتألف البدن؛ لأنها نسيت عهودها السابقة كما يقول في قصيدته، إذن فهو يقول: هبطت النفس من مكان رفيع، كرهت وأنفت البدن، ثم ألفته واستأنسته، ثم رجعت من حيث أتت وانتهت رحلتها.

وفي القسم الأخير من القصيدة يبدأ ابن سينا يتساءل لماذا؟ فيجيب أنها هبطت لحكمة إلهية، هبطت لا تعلم شيء لتعود عالمة بكل حقيقة ولكنها لم تعش في هذا الزمن إلا فترة.

البراهين على وجود النفس عند ابن سينا:

برهن ابن سينا على وجود النفس عن طريق:

١ - البرهان الطبيعي :

ويعتمد هذا البرهان على مبدأ الحركة والتي هي نوعان:

حركة قسرية: ناتجة عن دفعة خارجية تصيب جسمًا فتحركه.

حركة لا قسرية: وهذا ما عناها ابن سينا وهي أنواع:

منها ما يحدث على مقتضى الطبيعة كسقوط حجر من الأعلى إلى الأسفل.

obeikandi.com

منها ما يحدث ضد مقتضى الطبيعة وهنا يكمن "البرهان".

كالإنسان الذي يمشي على وجه الأرض مع أن ثقل جسمه يدعو إلى السكون، هذه الحركة المضادة للطبيعة ولقوانينها تستلزم محركًا خاصًا زائدًا على عناصر الجسم المتحـــرك ألا وهي (النفس).

٢ - البرهان النفسي:

ويقوم هذا البرهان على الأفعال الوجدانية والإدراك، فالإنسان يمتاز عن الحيوان بأنه يتعجب ويضحك ويبكي، كما أنه من أهم خواصه: الكلام واستعمال الرموز والإشارات وإدراك المعاني المجردة واستخراج المجهول من المعلوم.

هذه الأفعال والأحوال هي مما يختص به الإنسان، وهي ليست راجعة للبدن، بل هي قوة مستقلة كما قال ابن سينا شيء آخر لك أن تسميه النفس. وهـــذا الجـــوهر الـــذي يتصرف في أجزاء بدنك هو فيك واحد وهو أنت بالتدقيق.

obeikandl.com

الإمام فخر الدين الرازي
(٥٤٣ــ ٦٠٦هـ)

اسمه ونسبه:

هو الإمام محمد بن عمر بن الحسين بن علي القرشي التيمي البكري الطبرستاني، ابن خطيب الري المشهور بـ(فخر الدين الرازي).

(التيمي): نسبة إلى تيم من قريش، والتي ينتسب لها أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

(البكري): نسبة إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(الطبرستاني): نسبة إلى إقليم طبرستان، والذي تقع فيه مدينة (الري).

(الرازي): نسبة إلى مدينة الري، والتي ولد فيها، وهي مدينة قديمة تقع جنوب غرب طهران حاليًا.

وهو إمام مفسر شافعي، عالم موسوعي امتدت بحوثه ودراساته ومؤلفاته من العلوم الإنسانية اللغوية والعقلية إلى العلوم البحتة في: الفيزياء، الرياضيات، الطب، الفلك.

ولد في الريّ. قرشي النسب، أصله من طبرستان. رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان. وأقبل الناس على كتبه يدرسونها، وكان يحسن الفارسية.

كان قائمًا لنصرة الأشاعرة، ويرد على الفلاسفة والمعتزلة، وكان إذا ركب يمشى حوله ثلاثمائة تلميذ من الفقهاء، ولُقِبَ بشيخ الإسلام.

مولده ونشأته:

ولد في شهر رمضان من عام (٥٤٤ هـ) في مدينة الري، وهي العاصمة الكبرى في القرن السادس الهجري لبلاد العراق العجمي، شرقي سلسلة الجبال الإيرانية الكبرى، وقد أشاد جميع المؤرخين بما لهذه المدينة من شأن عظيم بوصفها مركزًا تجاريًا وعلميًا، وعدّها بعضهم مفخرة من مفاخر الإسلام، وإليها نسبته بـ(الرازي).

وكان ربع القامة، عبل الجسم، كث اللحية، جهوري الصوت، صاحب وقار وحشمة، له ثروة ومماليك وبزة حسنة وهيئة جميلة.

وكان والده الإمام ضياء الدين عمر بن الحسن فقيهًا اشتغل بعلم الخلاف في الفقه وأصول الفقه، وله تصانيف كثيرة في الأصول والوعظ وغيرهما. وعلى يد والده تعلم فخر

الدين العلوم اللغوية والدينية، وتتلمذ في العلوم العقلية على يد مجد الدولة الجيلي بمدينة مراغة (قرية مشهورة بأذربيجان).

وصار لفخر الدين الرازي تلاميذ صاروا علماء كبارا من بينهم: زين الدين الكشي، وشهاب الدين المصري.

وقد كان فخر الدين الرازي شديد الدقة في أبحاثه، جيد الفطرة، حاد الذكاء، حسن العبارة، قوي النظر في صناعة الطب ومباحثها، عارفًا بالأدب، ويتقن العربية والفارسية، وله شعر باللغتين العربية والفارسية.

وكان طلاب العلم يقصدونه من كافة البلدان يعشقون مجلسه والاستماع إليه، وكان يعقد مجالسه العلمية حيثما حل في بلاد فارس، وخراسان، وبلاد ما وراء النهر، وكان يقرب منه في حلقات درسه تلاميذه الكبار، وبقية الطلاب والأمراء والعظماء من مستمعيه في حلقات تتلوها حلقات.

حياته:

وقد عانى فخر الدين الرازي في صباه وشبابه الكثير من أخيه الأكبر سنًا الملقب بالركن، وكان أخوه الركن يعرف شيئًا من علوم الفقه والأصول، لكنه كان أهوج كثير الاختلال، ولذلك كان أبوهما لا يخفي إيثار فخر الدين الرازي على أخيه الأكبر، لذا كان هذا الأخ الأكبر يشعر بالغيرة من أخيه فخر الدين الرازي. فقد كان يتبعه في أسفاره ويسير خلفه يشنع عليه ويسفه المشتغلين بكتبه والناظرين في أقواله محتجًا بأنه أكبر منه وأعلم وأكثر معرفة بالفقه وأصوله، متعجبًا من الناس كيف يقولون فخر الدين الرازي ولا يقولون ركن الدين؟! ومع ذلك كان فخر الدين الرازي حينما يبلغه هذا الأمر يشعر بالإشفاق عليه ويسارع بالإحسان إليه.

وقد عانى فخر الدين الرازي في شبابه المشقات في أسفاره في طلب العلم، فقد غادر الري قاصدًا بخارى ليكتسب جديدًا من العلم، ويكسب بعض المال، وكانت بخارى ما زالت منارة من منارات العلم والمعرفة، ونزل في الطريق بخوارزم وعقد بها حلقة للعلم تحدث فيها بالفارسية والعربية بآراء لم ترضِ أهل خوارزم فأخرجوه منها، وقصد بخارى فوجد أهلها مثل أهل خوارزم، وعانى من الفقر والجوع، فآوى إلى مسجدها الجامع إلى أن رعاه رجل من أهل بخارى، وجمع له مالا من أموال الصدقات.

وعاد فخر الدين الرازي بعد ذلك إلى الري وأمن إلى طبيب حاذق له ثروة وله بنتان تزوج إحداهما، وتوفي هذا الطبيب بعد قليل فورثت ابنته ثروة لا بأس بها.

وتوجه فخر الدين الرازي إلى السلطان شهاب الدين الغوري صاحب غزنة، فبالغ في إكرامه، ثم توجه فخر الدين الرازي إلى خراسان، واتصل بالسلطان خوارزم شاه محمد بن تكش، ويقال: إنه قد أرسله رسولا إلى الهند في بعض أموره.

ومن بعد خراسان توجه فخر الدين الرازي إلى هراة (مدينة في أفغانستان)، وقد عزم على الإقامة مع أهله وولديه بها، واستقر فخر الدين الرازي في أواخر حياته بمدينة هراة، وصارت له بها دار فخمة أعطاها له السلطان خوارزم شاه محمد بن تكش الذي كان حريصًا دائمًا على حضور مجالسه العلمية. وقد كان يعقد مجالسه العلمية بمسجد هراة. وقد توفي بهراة، ودفن بظاهر هرات عند جبل قريب منها عام (٦٠٦هـ،١٢٠٩م).

وفخر الدين الرازي بمجمل مؤلفاته هو أول مَن ابتكر الترتيب وفق قواعد المنطق في كتبه، من حيث ترتيب المقدمات واستنباط النتائج مراعيًا التقسيم إلى أبواب، وتقسيم الأبواب إلى فصول، وتقسيم الفصول إلى مسائل فلا تشذ منه مسألة، حتى انضبطت له القواعد، وانحصرت معه المسائل.

وفخر الدين الرازي هو أول مَن قال من العرب: إن علم المنطق علم قائم بذاته وليس جزءا من غيره.

ومن أهم إنجازات فخر الدين الرازي أنه كان من أوائل العلماء الذين قالوا بنظرية الورود في الضوء من المبصرات إلى العين، وفي كيفية الإبصار.

وقد فسر فخر الدين الرازي حدوث الصوت في كتابه "المباحث المشرقية" بسببين: الأول منهما قريب يحدث من صدم فسكون فصدم فسكون. والثاني منهما بعيد ويحدث من عاملين: القرع. القلع.

وصفه ابن العبري بقوله: "كان يركب وحوله السيوف المجذبة وله المماليك الكثيرة والمرتبة العالية والمنزلة الرفيعة عند السلاطين الخوارزمشاهية". وسارت مصنفاته في الأقطار اشتغل بها الفقهاء.

لقد نال الإمام الأفضلية بين علماء عصره في الفقه وعلوم اللغة والمنطق والمذاهب الكلامية وبرع في الطب والحكمة وشاع فضله في ذلك كله حتى قصده الطلاب من مختلف البلاد.

وأدرك الإمام الرازي الخطر الذي آل إليه أمر الناس في زمانه من تجاذب من التيارات المختلفة، فما كان منه إلا أن قاوم تلك الفرق فناظرها وصرعها بسلاح الحق والإيمان وفند مزاعمها بالحجج البالغة.

وقد خاض الرازي في المرحلة الأخيرة من حياته صراعًا فكريًا محتدمًا مع الكرامية، وهم أتباع محمد بن كرام السجستاني، وهم الذين يبالغون في إثبات الصفات الى حد التشبيه، وقد عدّهم الأشعري وابن حزم من المرجئة لقولهم: الإيمان هو الإقرار والتصديق باللسان دون القلب.

وقد كان الكرامية يتّهمونه بأشنع التّهم، مما جعل بعض الباحثين والمؤرخين يشككون في موته متهمين الكرامية بأنهم دسوا إليه السّم، مستدلين برأيهم هذا على ما أوصى به الرازي في وصيته بإخفاء قبره، لكننا لا نرى لهذه التّهمة دليلا قاطعًا يُطمأن إليه.

توفيِّ الامام فخر الدين الرازي سنة (٦٠٦ هـ) في مدينة هراة وترك وصية شهيرة أوردها الكثير من المصادر التاريخية، نوردها بنصها لأهميتها:

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول العبد الراجي رحمة ربه، الواثق بكرم مولاه، محمد بن عمر بن الحسين الرازي، وهو في آخر عهده بالدنيا، وأول عهده بالآخرة، وهو الوقت الذي يلين فيه كل قاس، ويتوجه الى مولاه كل آبق:

إني أحمد الله تعالى بالمحامد التي ذكرها أعظم ملائكته في أشرف أوقات معارجهم، ونطق بها أعظم أنبيائه في أكمل أوقات مشاهدهم، بل أقول: كل ذلك من نتائج الحدوث والإمكان.

وأحمده بالمحامد التي تستحقها ألوهيته، ويستوجبها لكمال الموهبة، عرفتها أو لم أعرفها لأنه لا مناسبة للتراب مع جلال رب الأرباب.

وأصلي على الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين وجميع عباد الله الصالحين.

ثم أقول بعد ذلك: اعلموا إخواني في الدين، وإخواني في طلب اليقين، أن الناس يقولون: الإنسان إذا مات انقطع تعلقه عن الخلق، وهذا العالم مخصوص من وجهين:

الأول: إن بقي منه عمل صالح صار ذلك سببًا للدعاء، والدعاء له أثر عند الله.

والثاني: ما يتعلق بمصالح الأطفال والأولاد والعورات وأداء المظالم والجنايات.

أما الأول: فاعلموا أني كنت رجلا محبًا للعلم، فكنت أكتب في كل شيء شيئًا لا أقف على كميته وكيفيته، سواء كان حقًا أو باطلا، أو غثًا أو سمينًا، إلا أن الذي نظرته في الكتب المعتبرة لي: أن هذا العالم المحسوس تحت تدبير مدبر منزه عن مماثلة المتحيزات والأعراض، وموصوف بكمال القدرة والعلم والرحمة.

ولقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية، فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن العظيم؛ لأنه يسعى في تسليم العظمة والجلال بالكلية لله تعالى، ويمنع عن التعمق في إيراد المعارضات والمناقضات، وما ذاك إلا للعلم بأن العقول البشرية تتلاشى وتضمحل في تلك المضايق العميقة، والمناهج الخفية.

فلهذا أقول: كل ما يثبت بالدلائل الظاهرة من وجوب وجوده ووحدته وبراءته عن الشركاء في القدم والأزلية، والتدبير والفعالية، فذاك هو الذي أقول به، وألقى الله تعالى عليه.

وأما ما انتهى الأمر فيه إلى الدقة والغموض، فكل ما ورد في القرآن والأخبار الصحيحة المتفق عليها بين الأئمة المتبعين للمعنى الواحد فهو كما هو، والذي لم يكن كذلك أقول: يا إله العالمين إني أرى الخلق مطبقين على أنك أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين.

ذلك ما مر به قلمي، أو خطر ببالي فاستشهد علمك وأقول: إن علمت مني أني ما سعيت إلا في تقرير ما اعتقدت أنه هو الحق وتصورته أنه الصدق، فلتكن رحمتك مع قصدي لا مع حاصلي، فذاك جهد المقل وأنت أكرم من أن تضايق الضعيف الواقع في الزلة، فأغثني وارحمني واستر زلتي وامح حوبتي يا من لا يزيد ملكه عرفان العارفين، ولا ينتقص بخطأ المجرمين.

وأقول: ديني متابعة سنة محمد سيد المرسلين، وكتابي هو القرآن الكريم، وتعويلي في طلب الدين عليهما، اللهم يا سامع الأصوات ويا مجيب الدعوات، ويا مقيل العثرات ويا راحم العبرات، ويا قيام المحدثات والممكنات، أنا كنت حسن الظن بك، عظيم الرجاء في رحمتك، وأنت قلت: أنا عند ظن عبدي وأنت قلت: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل:٦٢] وأنت قلت : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة:١٨٦] فهب أني ما جئت بشيء فأنت الغني الكريم، وأنا المحتاج اللئيم.

واعلم: أنه ليس لي احد سواك، ولا احد محسنًا سواك، وأنا معترف بالزلة والقصور، والعيب والفتور، فلا تخيب رجائي، ولا ترد دعائي، واجعلني آمنًا من عقابك قبل الموت وعند الموت وبعد الموت، وسهّل عليَّ سكرات الموت، وخفف عني نزول الموت، ولا تضيق عليَّ بسبب الآلام والأسقام فأنت أرحم الراحمين.

وأما الكتب العلمية التي صنفتها أو استكثرت من إيراد السؤالات على المتقدمين فيها، فمن نظر في شيء منها، فإن طابت له تلك السؤالات فليذكرني في صالح دعائه على سبيل التفضل والإنعام، وإلا فليحذف القول السيء فإني ما أردت إلا تكثير البحث، وتشحيذ الخاطر، والاعتماد في الكل على الله تعالى.

وأما المهم الثاني: وهو إصلاح أمر الأطفال والعورات، فالاعتماد فيه على الله تعالى ثم على نائب الله محمد[1]، اللهم اجعله قرين محمد الأكبر في الدين والعلو. إلا أن السلطان الأعظم لا يمكنه أن يشتغل بإصلاح مهمات الأطفال، فرأيت الأولى أن أفوض وصاية أولادي إلى فلان، وأمرته بتقوى الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨].

وأوصيه ثم أوصيه ثم أوصيه بأن يبالغ في تربية ولدي أبي بكر فإن آثار الذكاء والفطنة ظاهرة عليه، ولعلّ الله تعالى يوصله إلى خير.

وأمرته وأمرت كل تلامذتي وكل من لي عليه حق، أني إذا مت، يبالغون في إخفاء موتي ولا يخبرون أحدًا به، ويكفنوني ويدفنوني على شرط الشرع، ويحملوني إلى الجبل المصاقب لقرية مزداخان (فرداخان) ويدفنوني هناك، وإذا وضعوني في اللحد، قرأوا عليَّ ما قدروا عليه من آيات القرآن، ثم ينثرون التراب عليَّ وبعد الإتمام يقولون: يا كريم جاءك الفقير المحتاج فأحسن إليه، واعطف عليه، فأنت أكرم الأكرمين وأنت أرحم الراحمين وأنت الفعال به وبغيره ما تشاء فافعل به ما أنت أهله، فأنت أهل التقوى وأهل المغفرة.

وهذا منتهى وصيتي في هذا الباب، والله تعالى الفعال لما يشاء وهو على ما يشاء قدير وبالأحسان جدير.

وهذه الوصيّة كتبها الإمام الرازي في الحادي والعشرين من شهر المحرم سنة ٦٠٦ هجرية.

---

(١) يريد به السلطان علاء الدين خوارزم شاه.

وكان رحمه الله مثلا في التدين والتصوف، وكان مثال الواعظ الذي يسحر القلوب والألباب بسحر وعظه فيبكي ويبكي.

علمه واكتشافاته:

كان فريد عصره ومتكلم زمانه جمع كثيراً من العلوم ونبغ فيها، فكان إمامًا في التفسير والكلام والعلوم العقلية وعلوم اللغة، ولقد أكسبه نبوغه العلمي شهرة عظيمة، فكان العلماء يقصدونه من البلاد ويشدون إليه الرحال من مختلف الأقطار.

وقد اكتشف فخر الدين الرازي الفرق بين قوة الصدمة والقوة الثابتة، فالأولى زمنها قصير، والثانية زمنها طويل.

كما اكتشف أن الأجسام كلما كانت أعظم كانت قوتها أقوى، وزمان فعلها أقصر، وأن الأجسام كلما كانت أعظم كان ميلها إلى أحيازها الطبيعية أقوى وكان قبولها للميل القسري أضعف.

وقد ذكر فخر الدين الرازي أن الحركة حركتان: حركة طبيعية سببها موجود في الجسم المتحرك، وحركة قسرية سببها خارج عن الجسم المتحرك.

كما عزا فخر التغير الطارئ على سرعة الجسم إلى المعوقات التي يتعرض لها، ولولاها لاحتفظ الجسم بسرعة ثابتة إذ أن تغير السرعة مرهون بتغير هذه المعوقات، داخلية كانت أو خارجية. وكلما كانت المعوقات أقوى كانت السرعة أضعف.

وذكر فخر الدين الرازي أن الجسمين إذا اختلفا في قبول الحركة الطبيعية، لم يكن ذلك الاختلاف بسبب المتحرك بل بسبب اختلاف حال القوة المحركة بين الجسمين، فالقوة في الجسم المتحرك الأكبر، أكثر مما في الجسم المتحرك الأصغر. وأن الجسمين المتحركين حركة قسرية تختلف حركتهما لا لاختلاف المحرك بل لاختلاف المتحرك، فالمعاوق في الكبير أكثر منه في الصغير.

وشرح القانون الثالث من قوانين الحركة الذي يقول: لكل فعل رد فعل مساوٍ له في المقدار ومضاد له في الاتجاه.

وقد شارك فخر الدين الرازي العالم العربي المسلم ابن ملكا البغدادي في القول بأن الحلقة المتزنة بتأثير قوتين متساويتين تقع تحت تأثير فعل ومقاومة، أي: أن هناك فعلا ورد فعل متساويين في المقدار ومتضادان في الاتجاه يؤديان إلى حالة الاتزان.

وإلى جانب شهرته العلمية فقد اشتهر بالوعظ حتى قيل: إنه كان يعظ باللسان العربي واللسان العجمي، وكان يلحقه الوجد في حال الوعظ ويكثر البكاء فيبكي سامعوه كثيرًا من شدة وقع مواعظه في قلوبهم وسحرها في أفئدتهم.

يقول أبو عبد الله الحسين الواسطي: سمعت فخر الدين ينشد بهراة على المنبر عقيب كلام عاتب فيه أهل البلد:

المرء مادام حياً يستهان به ويعظم الرزء فيه حين يفتقد

قصة الحمامة:

حدث في إحدى هذه المجالس أن حمام يطاردها صقر رفرفت في دائر صحن جامع هراة وسقيفته، وكانت العيون ترقبها فلم تجد ملاذًا لها سوى أن تدخل إيوان الجامع، ومرت بين الصفوف المتحلقة، وفوق الرؤوس، واستقرت في حجر فخر الدين الرازي، فراح يربت على رأسها وريشها، ففر الصقر هاربًا ونجت الحمامة، وكان الشاعر شرف الدين حاضرًا المجلس، فارتجل شعرًا في حكاية الحمامة، ومدح فخر الدين الرازي.

الرازي هو مؤسس علم الحركة:

اهتم الرازي بعلم الحركة وفاق من سبقوه ووضع نظريات سبق بها من لحقوه، فمن مقولاته في كتاب "المباحث المشرقية في علم الإلهيات والطبيعيات" نستدل على توصله إلى قوانين الجذب والحركة قبل إسحاق نيوتن بأكثر من خمسة قرون، فمنها: "إن انجذاب الجسم إلى مجاوره الأقرب أولى من انجذابه إلى مجاوره الأبعد..." ويقول أيضاً: "...إن تجدد مراتب السرعة والبطء بحسب تجدد مراتب المعوقات الخارجية والداخلية ونفهم من هذا لولا المعوقات مثل الاحتكاك لاحتفظ الجسم بسرعة ثابتة إذ أن تغير السرعة مرتبط بتغير هذه المعوقات..."، ومن تجاربه الخاصة توصل فخر الدين الرازي إلى أن "...الحلقة المتزنة بتأثير قوتين متساويتين تقع تحت تأثير فعل ومقاومة أي أن هناك فعلا ورد فعل متساويين في المقدار ومتضادين في الاتجاه يؤديان إلى حالة الاتزان...".

فسر فخر الدين الرازي الكثير من الظواهر الطبيعية كحدوث الصوت وفرّق بين قوة الصدمة والقوة الثابتة واكتشف ووضع العديد من النظريات في الفيزياء والرياضيات والطب وله في الفلك رسالة "في علم الهيئة" فكان بحق عالماً موسوعيّا شديد الدقة حاد الذكاء أضاف الكثير لعلوم الدين وبرز في الطب والعلوم البحتة ونبغ في الأدب والبلاغة وعلم الكلام وأسس علم الحركة.

شيوخه:

أخذ العلم عن والده ضياء الدين، وأخذ الفقه عن الكمال السمعاني، ودرس مذاهب المتكلمين والفلاسفة على يدي المجد الجيلي، ودرس على يدي الطبسي، وأخذ عن أحد متكلمي الشيعة وهو محمود بن علي الحمصي. وغيرهم من العلماء الذين عاصرهم ولقيهم.

تلاميذه:

وأخذ عنه العلم فيما بعد كما في "تاريخ مختصر الدول" لابن العبري: أفضل الدين الخونجي، وأثير الدين الأبهري، وتاج الدين الأرموي.

وفي "طبقات السبكي": شمس الدين الخوئي، ونجم الدين الكبري، وأبو بكر إبراهيم بن أبي بكر الأصفهاني، وأبو الفتح الموصلي.....

وفي "عيون الأنباء" لابن أبي أصيبعة: زين الدين الكشي، وشهاب الدين النيسابوري.

وفي "مرآة الزمان" لابن الجوزي: عبد الحميد خسرو شاهي، وغيرهم الكثير ممن أخذوا عنه شتى العلوم والمعارف.

الصراع المذهبي في عهده:

وأما بالنظر إلى دولة الإسلام (العباسية) آنذاك فقد عاشت في تناحر طويل ومرير وذلك بسبب تكاثر دولها ودويلاتها المترامية هنا وهناك، وأهمها الدولة الغزنوية (٣٥١-٥٨٢ هـ)، والدولة السلجوقية (٤٢٩-٥٩١ هـ)، والدولة الخوارزمية (٥٤٥-٦٢٩هـ)، والدولة الغورية (٥٤٣-٦١٢ هـ)، مما أنذرت تلك الحروب بين هذه الدول بخطر داهم يجر وراءه الفساد والاضطراب وانهيار القوى.

وإلى جانب هذا الصراع السياسي فقد تنازع هذه الدول الصراع المذهبي، فقد كانت الدولة السلجوقية سنية، وكانت الخوارزمية اعتزالية .

ورغم أن الحقبة التي ولد فيها الفخر الرازي كانت قلقة سياسيًا، إلا أنها شهدت نشاطًا علميًا كبيرًا. ففي القرن السادس الهجري كانت البلاد الفارسية تعيش حركة علمية متطورة، حيث تنوعت العلوم وكثرت التصانيف في شتى الفنون. ولعل أهم تراث إسلامي ظهر وفرة وجودة كان في ذلك العصر. فلقد ازدهرت العلوم الرياضية والطبيعية والفلسفية والكلامية وغيرها من العلوم التي اتصل بها الرازي وكوّن شخصيته الثقافية من خلال الاحتكاك بها.

ولقد انعكست هذه الحركة العلمية على تفكير الفخر الرازي ومنهجه، وكانت واضحة في نتاجه العلمي الذي اتسم بالموسوعية والتنوع المعرفي.

وفاته:

توفي رحمه الله يوم الاثنين أول شوال من سنة (٦٠٦هـ) بمدينة هراة كذا قال السبكي، وقال القفطي: إنه توفي في ذي الحجة من هذه السنة، وقد قيل: إنه مات مسمومًا وأن الفرق التي كان يناظرها قد دست له من سقاه السم قال القفطي: وكان يطعن على الكرامية ويبين خطأهم فقيل: إنهم توصلوا إلى إطعامه السم فهلك.

وعلى أرجح الأقوال أن وفاته كانت طبيعية، وما ذهب إليه بعض الباحثين بأن الكرّامية (أتباع محمد بن كرّام السجستاني) أرسلوا إليه من يدس له السم في طعامه، فمات بذلك مسمومًا، إلا أن هذا الأمر لا تقوم به حجة إلا بثبوت الدليل وهذا يحتاج إلى بحث وتدقيق.

تراث الإمام الرازي:

يُعَدُّ الفخر الرازي من علماء الإسلام القلة ذوي الإنتاج العلمي الضخم، فلقد ترك عددًا كبيرًا من المؤلفات والرسائل في حقول المعرفة المختلفة، كالفقه والتفسير والفلسفة والكلام والفلك والطب والكيمياء والتاريخ والبيان واللغة وغيرها من العلوم والاختصاصات مما يشير إلى سعة دائرة معلوماته وموسوعية ثقافته، إضافة إلى قدرته العالية على الكتابة والتأليف، غير أن كتبه لم تصل إلينا كلها، فلقد فُقد عدد منها ضمن ما فُقد من كتب التراث الإسلامي بفعل عوامل عديدة؛ وقد اختلف المهتمون بالتراجم وجمع التراث الإسلامي وكذلك الذين درسوا حياة الرازي في تعداد كتبه؛ فقد جعلها البعض ستة وسبعين كتابًا، في حين بلغ بها البعض إلى مائتي كتاب.

إن منشأ الاختلاف في عدد كتب ومصنفات الرازي يعود إلى عدم التثبت من صحة نسبة بعض الكتب إليه واختلاف الباحثين في الاعتماد على المصادر التراثية في هذا المجال، وتعذر مراجعتهم للكثير من المخطوطات المنسوبة للرازي للتأكد من صحة نسبتها.

يضاف إلى ذلك أن بعض الكتب التي كتبها الرازي كان يحمل اسمين، وهذا ما فهمه قسم من المهتمين بالتراث على أنه كتاب واحد، فيما فهمه القسم الآخر على أنه إسمان لكتابين مستقلين، كما هو الحال في كتابه الذي فسر فيه سورة الفاتحة، فقد جاء في بعض القوائم كاسم واحد هو: (تفسير سورة الفاتحة أو مفاتيح العلوم).

openkanal.com

بينما أدرجته قوائم أخرى كعنوانين لكتابين هما: (تفسير سورة الفاتحة) و(مفاتيح العلوم) وكذلك كتابه حول الأسماء الحسنى، فقد ورد في بعض القوائم على النحو التالي: (شرح أسماء الله الحسنى أو لوامع البينات في شرح أسماء الله الحسنى والصفات) في حين اعتبرت قوائم أخرى (لوامع البينات) كتاباً مستقلا.

والأكثر من ذلك أن هناك قائمة لكتب الرازي أدرجت (مفاتيح الغيب) كعنوان مستقل إضافة إلى (التفسير الكبير) في حين أن المعنون واحد.

ولعل أدق قائمة لمؤلفات الرازي[١] هي ما قدمها الأستاذ محمد صالح الزركان، حيث قسم تراث الفخر الرازي إلى ثلاث مجموعات:

الأولى: الكتب التي ثبت أنها للرازي.

والثانية: الكتب التي وردت حولها شكوك في أنها له.

والثالثة: الكتب المنسوبة إليه وسنعتمد هنا قائمته في الكتب الثابتة وهي موزعة حسب الموضوعات العلمية .

التفسير:

١- أسرار التنزيل وأنوار التأويل.

٢- تفسير سورة الإخلاص.

٣- تفسير سورة البقرة على الوجه العقلي لا النقلي.

٤- تفسير سورة الفاتحة أو مفاتيح العلوم.

---

(١) للمقارنة بين قوائم تراث الرازي انظر:

أ- جورج قنواتي، فخر الدين الرازي، بحث منشور في مجموعة (الى الدكتور طه حسين) القاهرة ١٩٦٥. ــ بروكلمان ــ تاريخ الادب العربي.

ب- علي سامي النشار، مقدمة تحقيقية للكتاب (اعتقادات فرق المسلمين والمشركين) القاهرة. ــ د ١٩٣٨ ــ ١٩٧٦.

ج- عبد العزيز المجذوب، الإمام الحكيم فخر الدين الرازي، ليبيا، ١٩٧٦.

د- محسن عبد الحميد، الرازي مفسراً، بغداد، ١٩٧٤.

و- محمد صالح الزركان، فخر الدين الرازي، القاهرة.

obeikandl.com

٥- التفسير الكبير (المسمى بمفاتيح الغيب). في ثمان مجلدات كبار في تفسير القرآن الكريم، وهو مشحون بالأبحاث الكلامية في مختلف الأبواب، ويناضل فيه المعتزلة، وينصر الأشاعرة، ويرد فيه على سائر الطوائف.

٦- رسالة في التنبيه على بعض الأسرار المودعة في بعض آيات القرآن الكريم.

الكلام:

١- أجوبة المسائل النجارية.

٢- الأربعين في أصول الدين.

٣- إرشاد النظائر إلى لطائف الأسرار.

٤- أساس التقديس.

٥- الإشارة في علم الكلام.

٦- البيان والبرهان في الرد على أهل الزيغ والطغيان.

٧- تحصيل الحق.

٨- الجبر والقدر.

٩- الجوهر الفرد.

١٠- حدوث العالم.

١١- الخلق والبعث.

١٢- الخمسين في أصول الدين.

١٣- الزبدة في علم الكلام.

١٤- شرح أسماء الله الحسنى أو لوامع البينات في شرح أسماء الله الحسنى والصفات. طبع بمصر عام ١٣٩٦.

١٥- عصمة الأنبياء.

١٦- الرسالة الكمالية في الحقائق الإلهية.

١٧- المباحث العمادية في المطالب المعادية.

١٨- المحصول في علم الكلام.

١٩- رسالة المعاد.

٢٠- المعالم في أصول الدين.

٢١- رسالة في النبوات.

obeikandl.com

٢٢- نهاية العقول في دراية الأصول.

المنطق والفلسفة:

١- الآيات البينات في المنطق.

٢- أجوبة مسائل المسعودي.

٣- الأخلاق.

٤- أقسام الذات.

٥- تعجيز الفلاسفة.

٦- رسالة في زيارة القبور.

٧- شرح الإشارات والتنبيهات. لابن سينا على نمط النقد والرد على الشيخ الرئيس، يقول المحقّق الطوسي في شرحه للإشارات: وقد شرحه فيمن شرحه الفاضل العلامة فخر الدين ملك المناظرين محمد بن عمر بن الحسين الخطيب الرازي - جزاه الله خيراً - فجهد في تفسير ما خفي منه بأوضح تفسير، واجتهد في تعبير ما التبس فيه بأحسن تعبير، وسلك في تتبع ما قصد نحوه طريقة الاقتفاء، وبلغ في التفتيش عمّا أودع فيه أقصى مدارج الاستقصاء، إلا أنّه قد بالغ في الرد على صاحبه أثناء المقال، وجاوز في نقض قواعده حدّ الاعتدال، فهو بتلك المساعي لم يزده إلا قدحًا، ولذلك سمّى بعض الظرفاء شرحه جرحًا، ومن شرط الشارحين أن يبذلوا النصرة لما قد التزموا شرحه بقدر الاستطاعة، وأن يذبّوا عمّا قد تكفلوا إيضاحه، بما يذب به صاحب تلك الصناعة؛ ليكونوا شارحين غير ناقضين، ومفسرين غير معترضين. اللّهمّ إلا إذا عثروا على شيء لا يمكن حمله على وجه صحيح، فحينئذ ينبغي أن ينبهوا عليه بتعريض أو تصريح، متمسكين بذيل العدل والإنصاف، متجنبين عن البغي والاعتساف، فإنّ إلى الله الرجعى، وهو أحقّ بأن يخشى.

٨- شرح عيون الحكمة لابن سينا. وهو الكتاب الذي بين أيدينا.

٩- لباب الإشارات.

١٠- المباحث المشرقية. في جزءين جمع فيه آراء الحكماء والسالفين ونتائج أقوالهم وأجاب عنهم، وقد قمنا بتحقيقه في مجلدين.

١١- مباحث الوجود والعدم.

١٢- الملخص في الحكمة والمنطق.

obeikandi.com

١٣- المنطق الكبير.
١٤- في النفس والروح.
١٥- الهدى في الفلسفة.

علم الكلام والفلسفة:

١- محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين. وقد لخصّه المحقّق الطوسي وأسماه: «تلخيص المحصل» ونقد منهجه في كثير من الموارد، وقد طبع أيضاً.
٢- المطالب العالية في العالم الإلهي.
٣- الجدل والخلافيات.
٤- الجدل.
٥- شفاء العي والخلاف.
٦- الطريقة العلائية في الخلاف.
٧- في الخلاف والجدل.

الفقه والأصول:

١- إبطال القياس.
٢- إحكام الأحكام.
٣- البراهين البهائية.
٤- شرح الوجيز للغزالي.
٥- المحصول في أصول الفقه.
٦- المعالم في أصول الفقه.
٧- منتخب المحصول في أصول الفقه.
٨- النهاية البهائية في المباحث القياسية.

أدب اللغة العربية وعلومها:

١- شرح سقط الزند لأبي العلاء المعري.
٢- شرح نهج البلاغة.
٣- المحرر في حقائق أو دقائق النحو.
٤- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز.

obeikandl.com

التاريخ:

١- فضائل الصحابة.

٢- مناقب الإمام الشافعي.

الرياضة والفلك والطب:

١- الهندسة.

٢- رسالة في علم الهيئة.

٣- الطب والفراسة.

٤- الأشربة.

٥- التشريح من الرأس الى الحلق.

٦- شرح القانون لابن سينا.

٧- الطب الكبير أو الجامع الكبير.

٨- رسالة في علم الفراسة.

السحر والرمل والتنجيم:

١- الأحكام العلائية في الأعلام السماوية.

٢- السر المكتوم في مخاطبة الشمس والقمر والنجوم.

٣- منتخب درج تنكلونشا أو دنكلوشا.

كتب عامة:

١- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين.

٢- جامع العلوم.

٣- حدائق الأنوار.

٤- الرياض المونقة في الملل والنحل.

٥- اللطائف الغياثية.

٦- مناظرات فخر الدين الرازي.

٧- الوصية.

٨- تهذيب الدلائل وعيون المسائل.

٩- جواب الغيلاني.

١٠- الرعاية.

obeikandl.com

١١- رسالة في السؤال.
١٢- الرسالة الصاحبية.
١٣- الرسالة المجدية.
١٤- نفثة المصدور.

مصادر الترجمة:

١- سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٣/ ١١٥.
٢- وفيات الأعيان لابن خلكان: ١/ ٦٠٠ – ٦٠٢.
٣- طبقات الشافعية للسبكي: ٥/ ٣٥.
٤- عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة: ٢/ ٢٣- ٣٠.
٥- تاريخ الحكماء للقفطي: ٢٩١ – ٢٩٣.
٦- ميزان الاعتدال للذهبي: ٢/ ٣٢٤.
٧- لسان الميزان لابن حجر: ٤/ ٤٢٦- ٤٢٩.
٨- مختصر الدول لابن العبري: ٤١٨ - ٤٢٠.
٩- طبقات الشافعية لابن هداية: ٨٢، ٨٣.
١٠- مرآة الجنان لليافعي: ٤/ ٧ – ١١.
١١- المختصر في تاريخ البشر لأبي الفداء: ٣/ ١١٨.
١٢- البداية والنهاية لابن كثير: ١٣/ ٥٥، ٥٦.
١٣- طبقات المفسرين للسيوطي: ٣٩.
١٤- شذرات الذهب لابن العماد: ٥/ ٢١، ٢٢.
١٥- النجوم الزاهرة لابن تغري بردي: ٦/ ١٩٧، ١٩٨.

obeikandl.com

وصف النسخة الخطية

اعتمدنا في تحقيقنا لهذا الكتاب القيم النادر على نسخة خطية محفوظة في مكتبة الجامع الأحمدي بطنطا برقم (١٤ توحيد) (٥٤٦ عمومية)، وهي تقع في (١٣١) لوحة، وفي الصفحة (٣١) سطرًا، ومقاس الصفحة ١٦,٥/٢٤ سم.

وهي نسخة جيدة كُتبت بخط نسخ معتاد وواضح سنة ٧٧٥ هـ، واسم الناسخ يوسف بن إبراهيم بن أبي الكرم التكريتي.

وقد جاء في خاتمة المخطوط: (نجز من تعليقة العبد الفقير الى الله تعالى «يوسف بن إبراهيم بن أبى الكرم التكريتي بيرطلي» في بلد «الموصل» فى شهر صفر من سنة خمس وسبعين وسبعمائة للهجرة، لنفسه، حامدا الله تعالى على سبوغ نعمائه، وجزيل عطائه).

- كما أننا اعتمدنا على نسخة أخرى هي نسخة الاسكوريال المحفوظة برقم (٦٢٨)، وهي تقع في (٢٨٢) لوحة. وقد كتبت بخط واضح.

obeikandl.com

منهج التحقيق

سار عملنا في الكتاب وفق المنهج التالي:

١- نسخ النص نسخًا علميًا دقيقًا.

٢- مطابقة النص ومراجعته.

٣- تخريج الآيات القرآنية وفق مواضعها من المصحف الشريف.

٤- تخريج الأحاديث النبوية الشريفة وفق مواضعها من كتب السنة النبوية المطهرة.

٥- التعليق على المواضع التي تحتاج زيادة إيضاح، أو بسط مسألة، أو بيان مشكل.

٦- ترقيم النص حسب قواعد الترقيم الحديثة.

٧- صنع ترجمة وافية للشيخ الرئيس ابن سينا صاحب أصل عيون الحكمة، وترجمة وافية للإمام الرازي صاحب الشرح.

٨- عمل فهارس تفصيلية لأبواب الكتاب.

وأخيرًا فهذا هو جهد المقل، والمرجو ممن يطلع على كتابنا فيجد فيه عيبًا أن يبادرنا بالنصيحة، والتصويب، فكل معرض للخطأ، ولا كمال إلا لله سبحانه وتعالى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

المحقق

obeikandl.com

صور المخطوطات

صور المخطوطات

صور المخطوطات

صور المخطوطات

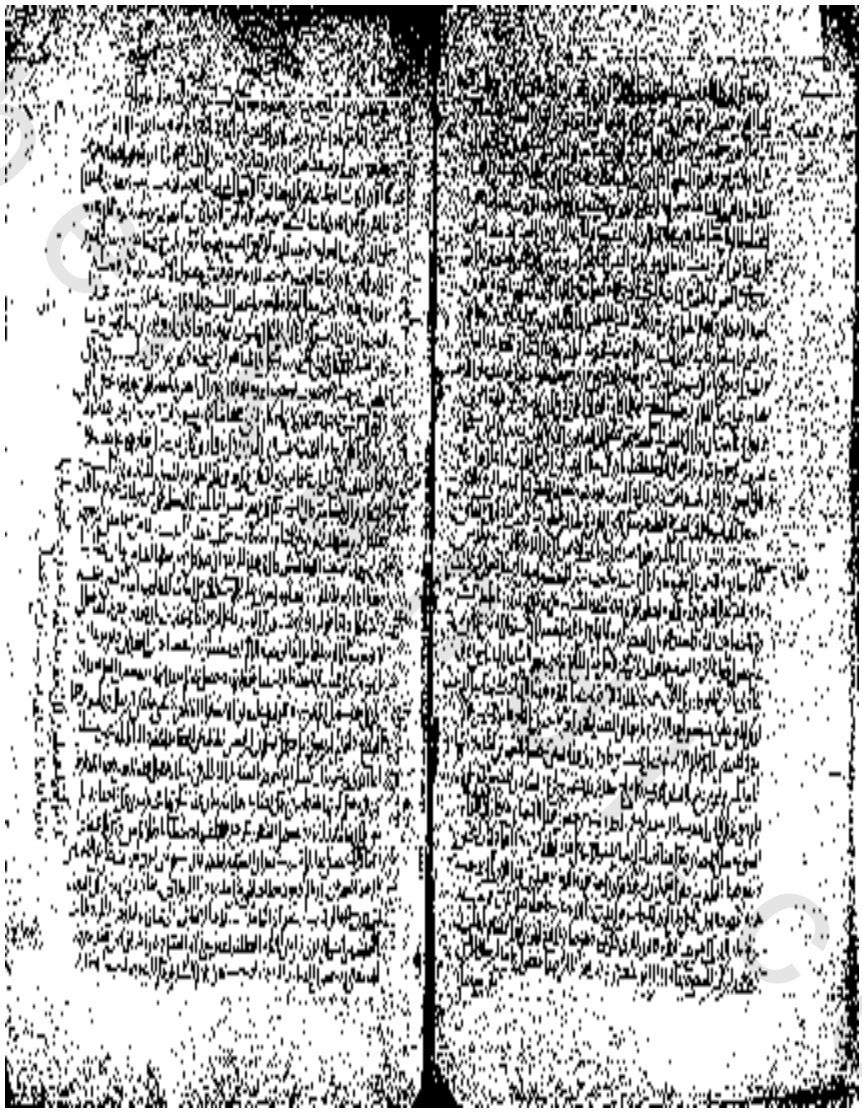

صور المخطوطات

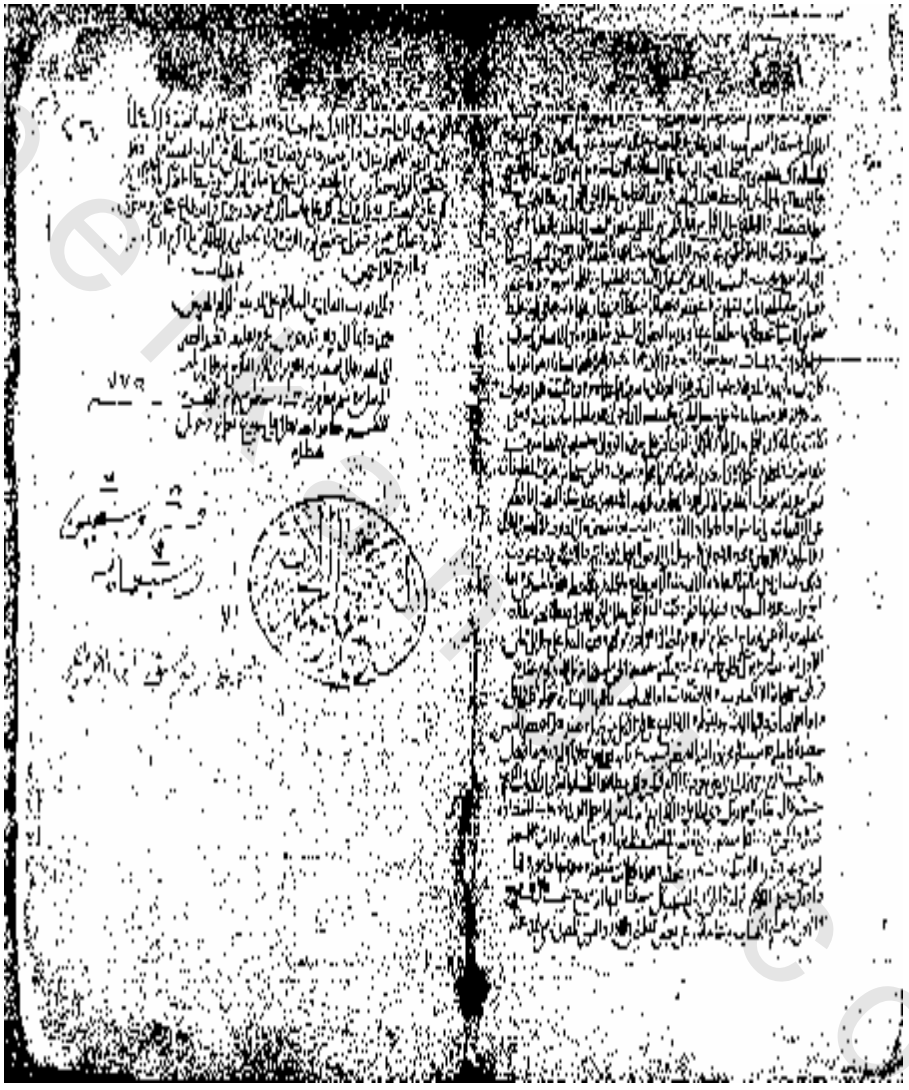

i j k

وهو المستعان، وعليه التكلان

اللهم يا خالق السماوات والأرض، ويا فاطر السماوات والأرض، ويا نور السماوات والأرض، ويا قيوم السماوات والأرض، ويا راح المساكين، ويا ساتر عيوب المعيوبين، ويا مجيب دعوة المضطرين، ويا أكرم الأكرمين، ويا أرحم الراحمين.

أسالك سؤال مسكين مستكين، ذليل مهين، بحق حقك على كل أحد، وبحق لزوم عبوديتك لكل أحد، وبحق وجوب طاعتك على كل أحد، وبحق وصول رحمتك إلى كل أحد: أن تنور قلب هذا الفقير الكسير بطلائع معرفتك، وتشرح صدره بلوامع هدايتك، وتُزين لسانه بذكر تمجيدك وتحميدك، وتعظم شأنه بأن توفقه للإقرار بتوحيدك وتفريدك، وألا تشغل قلبه بموجود سواك، وألا تبطل توحيده بظلمة الالتفات إلى العناصر والأفلاك، وأن تسعده بالأمن من عقابك الأليم، وأن تكرمه بلذة النظر إلى وجهك الكريم، وأن ترزقه من أنواع الكرامات أن يكون غريقًا في بحار معرفتك، حريقًا بأنوار محبتك، يرى الكل معزولا في ساحة قدرك وقضائك، معدومًا عند طلوع نور كبريائك، وأن تصلي على محمد رسولك في الملأ الأعلى، وترزقني الكأس لأروى، والدرجة التي ذكرتها بقولك: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى: ٥].

أما بعد:

فإن كتاب «**عيون الحكمة**» كتاب أخباره سُطرت في صفائح المفاخر، وكُتبت على جبهة الفلك الدائر، وهو في الحقيقة كالصدفة المحتوية على غُرر مباحث القدماء، المحيط بجوامع كلمات الحكماء.

فسألني بعض الأعزة من الأصحاب، والخُلص من الأحباب، وهو سيدي: «**الحكيم محمد بن رضوان بن محمد بن ملك شروان**» فسر[1] مشكلاته، وإيضاح معضلاته، والتفحص عن كيفية بيناته، والتصفح لمآدبه وغاياته.

---

(١) في نسخة الاسكوريال: تفسير.

فأحجمت عنه لأمور:

أحدها: أن هذا الكتاب دُرة لم تُثْقَب، ومُهرة لم تركب، و لم يتعرض لتحليل تركيباته أحد من الأفاضل، و لم يتشمر لهذا المقصود أحد من الأواخر والأوائل. فكيف أقدر على سكر مسيل البحر المتلاطم، وسد طريق العارض المتراكم؟!

وثانيها: أني مخالف لمقتضى هذا الكتاب في دقيقه وجليله، وجمله وتفصيله؛ فإن جررت عليها ذيل المداهنة والمهادنة، صِرْتُ كالراضي بتوجيه العباد إلى مسالك الغي والعناد، وإن تشمرت للكشف والبيان وقعت في ألسنة الخزي والخذلان.

وثالثها: أن هذا الكتاب مع أنه في أصله غير مَبْنِيّ على المنهج القويم والصراط المستقيم، قد اتفقت له آفة أخرى وهي: أنه كتاب صغير الحجم. وفي اعتقاد الجمهور: أنه كثير العلم، بسبب أن مصنفه في هذا العلم عظيم الاسم؛ فلهذا السبب عظم حرص الجمهور على معرفة أسراره ومعانيه، وقويت رغباتهم في الاطلاع على حقائقه ومبانيه.

ثم إن ألفاظ هذا الكتاب وجيزة مختصرة، والمعاني المعتبرة غير مألوفة ولا مشهورة، والمطالب غير متمايزة بالفواصل المعلومة، والمقاصد غير مبينة بالألفاظ الناصة المفهومة، فلا جَرَمَ كل أحد يفسره على وفق رأيه العليل، وخاطره الكليل[1].

وإذا تخيلوا أن المراد منه كذا، فربما كتبوا تلك الخيالات الفاسدة على الحاشية؛ لظنهم أنه يصير ذلك سببًا لإيضاح ذلك الكلام، وتحصيل ذلك المرام، فإذا جاء بعدهم أقوام أكثر جهالة من أولئك الأولين، وأقوى ضلالة من أولئك السابقين، فربما ظنوا بتلك الحواشي أنها من متن الكتاب، وأنها ليست من القشر بل من اللباب؛ فحينئذ يدخلونه في متن كتاب المصنف الأول، ويصير ذلك سببًا لحصول كل خلل وزلل.

ولقد شاهدت هذا النوع من التحريف والتخريف في مصنفاتي ومؤلفاتي، وكنت أبالغ في إزالتها عن متن الكتاب؛ لكيلا يحصل ما يوجب الارتياب والاضطراب؛ فإذا وقع هذا والمدة أقل من الثلاثين، فلأن يقع والمدة قد زادت على المائة والخمسين كان أولى.

---

(١) الكليل: الضعيف أو المتعب.

وإنما ذكرت هذا العذر؛ لاشتمال هذا الكتاب في كثير من المواضع على كلمات كثيرة الخبط، بعيدة عن الضبط، يبعد عندي أن يكون قائلها هو هذا المصنف، الذي كان في قوة القريحة آية، وفى جودة الفكر والنظر غاية.

ويغلب على ظني: أن السبب في اختلاط تلك الكلمات المثْبَجة[١] والتركيبات المعُوّجة ما ذكرناه وقررناه.

ولمثل هذا السبب فكثيرًا ما يقول «جالينوس»[٢] في شرحه لكتاب «الفصول»: «إن هذا الفصل مُدلس على «أبُقراط»[٣] »؛ إذ كان يجد ذلك الفصل كثير الزلل، شديد الاختلاط.

---

(١) الثَبَجُ : " اضْطِرابُ الكلامِ وتَفْنِينُه " وفي نسخة : تَفَنُّنُه . الثَّبَجُ " : تَعْمِيَةُ الخَطِّ وتَـرْكُ بَيانـه كالتَّثْبِيجِ " يقال : ثَبَّجَ الكِتَابَ والكَلامَ تَثْبِيجاً : لم يَأْت به على وَجْهِه وعن اللَّيْث : التَّثْبِيجُ : التَّخْلِيطُ وكتابٌ مُثَبَّجٌ وقد ثُبِّجَ تَثْبِيجاً . [التاج: ثبج]

(٢) جالينوس (١٣٠-٢٠٠م): طبيب وكاتب يوناني، ولد في برجامون وعمل جراحا لمدرسة المصارعين بها بعد أن أتم دراسة بلاد اليونان وآسيا الصغرى والاسكندرية، ثم أقام بروما حيث ذاع صيته فاختاره ماركوس أوريليوس طبيبا لبلاطه، وينسب إلى جالينوس خمس مائة مؤلف أغليها في الطب والفلسفة، وبقي من مؤلفاته الطبية ثلاثة وثمانون على الأقل، وقد أضاف إلى من سبقه من معارف طبية باكتشافاته التي توصل إليها بالتجريب وبتشريح أجسام الحيوان، وله إضافات في علم وظائف الأعضاء، وأضاف الكثير إلى المعرفة بالمخ والأعصاب والحبل الشوكي والنبض، وظلت تعاليمه ونظرياته مقبولة مسلَّم بها وتدرس وتنقل حتى أواخر القرن السادس عشر. [انظر: تاريخ الحكماء ٤٠٦]

(٣) أبقراط: ولد بمدينة كور، كان الطب قبل أبقراط ضرب من الشعوذة والطقوس والخرافات، وأكبر فضل لأبقراط وخلفائه أنهم حرروا الطب. ومن أشهر أقواله: (العلم كبير ولكن الوقت يمر مر السحاب). و(النظريات الفلسفية لا شأن لها بالطب والعلاج يجب أن يقوم على شدة الملاحظة).

وهو صاحب نظرية الأخلاط الأربعة: (إن البدن يتكون من أربعة أخلاط هي: الدم والبلغم والصفراء والسوداء، وإن الإنسان يستمتع بالصحة الكاملة إذا امتزجت فيه هذه الأركان بنسبها الصحيحة). وقد بقيت هذه النظرية و لم يتخل عنها الناس وبعض الأطباء إلا قبل قرن من الزمان.

وكان يؤمن بالعدوى ونقل المرض المعدي من إنسان لآخر ، ويؤمن بأهمية الغذاء والرياضية والهواء قبل استعمال أي دواء.

وقد رفع أبقراط من شأن هذه المهنة بتوكيد شأن الأخلاق في الطب وربما كان القسم الشهير الذي يعزى إليه قد وضع لضماء ولاء طالب الطب بمهنته ومعلميه. [انظر: تاريخ الحكماء ٤٠٥].

ثم إن ملتمس[١] الشرح والتفسير ما صَرَفه عن شدة الالتماس شيء من هذه المعاذير، فكتبت في هذا المطلوب الرفيع والمقصود المنيع هذا الكتاب، الذي يُرشد العقل إلى أقصى منازل السيَّارين[٢] إلى الله- عز وجل- ويُهدي الفكر إلى غايات معارج السَّيَّاحِين في بيداء دلائل الله.

واكتفيت بالكلام القوي، والبحث السوي، والنهج الواضح، والطريق اللائح، وصنت القلم عن فتح باب [المساهلات والمشاغبات][٣]؛ بل كلما غلب على ظني فساده أفسدته بمقدار ما استطعت، وما غلب على ظني صحته قررته بمقدار ما قدرت؛ فإن يك صوابًا فمن فضل الرحمن، وإن يك خطأ فمني ومن الشيطان.

ثم توسلت به إلى طلب الرضوان الأكبر، والفوز بالمقام الأنور، والوصول إلى الخيرات اللائقة بالقوى البشرية قبل الموت، وعند الموت، وبعد الموت.

وسألته- سبحانه- أن يهديني إلى سواء السبيل، وأن يُعينني على تحقيق الحق، وإبطال الأضاليل، إنه الموفق للخيرات في كل كثير وقليل، والحمد لله على آلائه.

---

(١) أي: محمد بن رضوان بن ملك شروان.

(٢) أي: السائرين. وقد روي في الملائكة السيارين الذين يتبعون مجالس الذكر الحديث المعروف.

(٣) جاء في نسخة الاسكوريال في هذا الموضع: (باب المشاتمات، والكاغد عن التسويد بالمباهلات والملاعنات، وما سعيت البتة في إخفاء حق أو ترويج باطل).

openkandl.com